وأنت لا تفكّر إلا في بَهْر بعض «أصحاب الملابس البيضاء!».

ـ لكني هنا عشت على أي حال منذ طفولتي، وهؤلاء الناس هم الوحيدون الذين أخالطهم.

«إنك لم تنتمِ قطّ إلى «أصحاب الملابس البيضاء»، ومصيرُك هو غير هذا، ولن تشيخ بين هؤلاء الناس».

وتوقّف عن البكاء عندما تكوّنت هذه الأقوال فوق شفتيه، وعلى مدى برهة داعب حُلُماً: ماذا لو رحل هو و«مالكوس» منذ الآن؟ ولكنّ «الآخر» تقنّع حِيال نزقه بقناع الزمن المُلْغى الوادع.

«لا يا «ماني»، لا تستطيع أن تكشف نفسك، فما يزال الوقت مبكّراً جدّاً لكي تواجه العالم، ولن يُصغي أحد إلى صبيّ».

على الرغم من أن «مالكوس» كان مطروداً شرعاً فقد سُمح له بالبقاء بضعة أسابيع أخرى في بستان النخيل. وإنه لتسامُحٌ لم يكن ليخلو من علاقة ظاهرة بالجروح البارزة التي أُلحقت به. ولم يكن جلّاده «سيتايي» ليُريد أن يُقدِّم للقرويين المجاورين مشهداً كفيلاً بأن يُغذّي شكوكهم.

وكان «ماني» مقتنعاً بأن صديقه سوف يرفض هذه الرحمة المتأخّرة والمشبوهة وينتهز أول ليلة فيهرب. غير أن «الصُّورِيّ» لم يحتقر المهلة التي عُرضت عليه. وقد شرح ذلك لِـ «ماني» بقوله: «لا أودّ أن أصل عند «اليونانيين» على هذه الحال!» فلم يكن يريد أن يَمْثُل مراهقاً مجلوداً مُهاناً في حضرة امرأةِ عمرِه والرجل الذي سيصبح حماه. ما دام في إمكانه أن ينتظر في الظلّ أن تختفي آثار ما كان!.

والحقّ أن «مالكوس» لم يكن مستعجلاً الرحيل كثيراً. وحين حضر بعد عشرين يوماً من الحادثة أحد «الإخوة» ليشرح له على لسان «سيتايي» بأنّ عليه أن يذهب بدا عليه الاضطراب.